حاضرة أسوف وأريغ ومكانتها في الفكر الإباضي من القرن2هـ/8م إلى القرن 6هـ/12م

أ/ علال بن عمر / قسم العلوم الانسانية/جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي

الملخص :

إذا كانت أسوف وأريغ من أولى المناطق التي احتضنت الفكر الإباضي وناصرته وانتصرت له منذ العهد الرستمي(160هـ-296هـ)؛ فإنها بعد سقوط تاهرت سنة 296هـ أصبحت من أهم معاقل الإباضية ببلاد المغرب، وبدأ دورها في الفكر الإباضي يبرز بشكل ملفت. كاد الفكر الإباضي أن يندثر لولا ظهور دور حواضر الصحراء على مسرح الأحداث، وفي مقدمة تلك الحواضر؛ حاضرة أريغ وأسوف؛ التي وجد فيها إباضية المغرب المتنفّس الوحيد للحفاظ على المذهب واستمراره. ومنذ ذلك الوقت بدأ دور حواضر الصحراء المغرب أوسطية يظهر في التاريخ المغاربي؛ الذي كان ولفترة طويلة حكرا على مدن الشمال؛ إذ أعطى الوجود الإباضي بتلك الحواضر نفسا جديدا للحياة العلمية والفكرية بها، فبرز منها كوكبة من العلماء حفظتهم لنا كتب السير الإباضية التي ترجمت لهم، ولا شك أن نظام العزابة –الذي يدخل ضمن ابتكارات فكر وثقافة الواحات الصحراوية– يعتبر إبداعا أريغيا بامتياز.

لذا أردنا أن نفرد دور حاضرة أسوف وأريغ في الفكر الإباضي بهذه الدراسة، التي ستكون بادرة للتوجّه نحو دراسة الحواضر الصحراوية وإبراز دورها في تاريخ المغرب الوسيط.

Abstract:

If Asouf & Arigh were the first regions which had embraced and supported the Ibadit ideology since the Rustami era (160-296 Hidjri); after the fall of Tehert in 296 Hidri, they became one of the important stronghold of Ibadia in the Maghreb and started holding a special place in the Ibadit ideology.

Without the emergence of the Sahara metropolis, the Ibadit Ideology was nearly vanished; at the forefront of them, there were the metropolis of Arigh & Asouf where the Ibadit society found their only respite to save and keep going their doctrine. Since then, the role of the medieval Maghreb's metropolis was emerged in the history of Maghreb, which was exclusively reserved to the Northern cities. The Ebadit presence in these metropolis had revamped its intellectual and scientific life, as a result, it stood out with a constellation of scholars who was preserved with the Ibadit biographies.

Therefore, we want to study the role of Asouf & Arigh metropolis, as an initiative to study later the Sahara metropolis and to show its role in the history of medieval Maghreb.

Keywords: Ebadia, Ebadi Ideology, Asouf & Arigh Metropolis, Sahara Metropolis, the history of Medieval Magreb

تمهيد:

كانت بلاد المغرب مسرحا للعديد من الفرق الإسلامية منذ القرون الهجرية الأولى، وأولى تلك الفرق، الإباضية؛ والتي قدِمت من بلاد المشرق بغرض إيجاد بيئة ملائمة لنشر أفكارها ومبادئها، وما هو إلا وقت يسير حتى انتشرت الإباضية وسط المجتمعات البربرية، وقد تزامن ظهورها مع فرقة الصفرية التي كانت تميل إلى القوة والعنف من أجل تحقيق أهدافها، في حين اتخذت الإباضية من الدعوة سبيلا لذلك.

أثمرت جهود حملة العلم[1] من إباضية المغرب في إنشاء كيانات سياسية إباضية، بحيث قامت سنة 140هـ أول إمامة ظهور[2] للإباضية ببلاد المغرب على يد أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الحميري اليمني؛ وهو أحد حملة العلم الخمسة عن أبي عبيدة، وكانت إمامته بمنطقة طرابلس، وبها سيطر أبو الخطاب على المغرب الأدنى وافريقية، وامتدّت دولته لتشمل القيروان، وبلاد الجريد، وقابس، وطرابلس، وبرقة، وجبل نفوسة، وغدامس، غير أن قوات العباسيين ظلت تلاحق أبي الخطاب إلى أن قضى محمد بن الأشعث الخزاعي على إمارته وقتله سنة 144هـ، ولكن حلْم الإباضية في إمامة الظهور لم يتبدّد، حيث استطاع –رفيق أبي الخطاب في العلم وأحد حملة العلم– عبد الرحمان بن رستم تأسيس إمامة جديدة بتاهرت وأعلن عن ميلاد دولة بربرية إسلامية بها سنة 160هـ[3].

إن ميلاد دولة بني رستم جعلنا ننفض الغبار عن عديد المناطق المترامية الأطراف جنوب بلاد المغرب، ذلك أن المجال الجيوفكري للدولة الرستمية اتجه نحو الجنوب، فأدخل عديد المناطق إلى دائرة التمدن والحضارة، على غرار وارجلان وأريغ وأسوف وبلاد الجريد وغدامس وغيرها.

وإذا كانت أسوف وأريغ من أولى المناطق التي احتضنت الفكر الإباضي وناصرته وانتصرت له منذ العهد الرستمي؛ فإنها بعد سقوط تاهرت سنة 296هـ أصبحت من أهم معاقل الإباضية ببلاد المغرب، وقد أعطاها الموقع الجغرافي بعدا استراتيجيا هاما، حيث وجد فيه إباضية المغرب الفارّين من بطش الفاطميين حينذاك ملجأ آمنا وحصنا حصينا يقيهم ضربات الشيعة، كما يبعدهم عن سلسلة الملاحقات التي طالتهم؛ منذ سقوط إمامتهم إلى نهاية العصر الوسيط، وذلك لما يتوفر عليه الموقع الجغرافي من ميزات العزلة والبُعد عن بؤر التوتر ومراكز الاضطراب الموجودة عادة في مدن الشمال أو الوسط.

وقد أردنا في هذا المقال أن نبرز دور حاضرة أريغ وأسوف في الفكر الإباضي خاصة بعد سقوط تاهرت، مظهرين كيفيات احتضان أريغ لنظام العزابة؛ الذي أعطى لإباضية المغرب نفسا جديدا وأنعش الفكر الإباضي الذي بدأ في الضعف والانحلال نتيجة هلاك روّاده على يد المناوئين للمذهب، فقُتل الكثير من علماء اللإباضية في موقعة مانو سنة 283هـ من قبل الأغالبة، ثم تابع الشيعة سلسلة القتل في تاهرت سنة 296هـ. والتي أسقطوا خلالها الدولة الرستمية؛ ثم توالت ملاحقاتهم للإباضية بعد ذلك، وما موقعة باغاي سنة 358هـ إلا حلقة من حلقات التقتيل الشيعي لهم؛ ثم ظهر من بعدهم الصنهاجيون الذين بطشوا بأهل درجين سنة 440هـ، كلّ ذلك أدّى إلى أفول الفكر الإباضي وتراجع دوره، وكاد أن يندثر لولا ظهور دور حواضر الصحراء على مسرح الأحداث، ومن تلك الحواضر حاضرة أريغ وأسوف التي وجد فيها إباضية المغرب المتنفّس الوحيد الذي يضمن لهم استمرار فكرهم وبقائه.

وهنا يطرح الإشكال نفسه: ما الدور الذي أدّته حاضرة أريغ وأسوف حتى استطاعت الحفاظ على بقاء واستمرار الفكر الإباضي؟ وكيف استغلّ إباضية المغرب تلك الحواضر

وسخّروها لخدمة مذهبهم؟ ومن الذي حمل لواء الفكر الإباضي في أريغ وأسوف؟، ومن هم الأعلام الذين بهم نهض الفكر وتجدّد؟ وأخيرا؛ لماذا انحسر المذهب الإباضي عن أريغ وأسوف؟، وكيف تحوّلت –رغم دورها في الفكر الإباضي– عن الإباضية إلى المالكية؟.

وسنحاول بغرض حل تلك الإشكاليات التطرق للنقاط التالية:

1- الظروف التي ساعدت على تقبّل الأفكار الإباضية بحواضر المغرب.
2- حاضرة أسوف وأريغ ضمن الخارطة الجغرافية للفكر الإباضي منذ القرن3هـ/9م.
3- مكانة حاضرة أريغ في الفكر الإباضي بعد سقوط الدولة الرستمية .
4- دور علماء أسوف في الفكر الإباضي بعد سقوط الدولة الرستمية.
5- انحسار الإباضية عن أريغ وأسوف وتسيّد المذهب المالكي بها.

كان اعتمادي أكثر في هذا المقال على المصادر الإباضية؛ وخاصة منها كتب السير التي حفظت لنا شيئا من تاريخ المنطقة، الذي غفل عنه كُتّاب أهل السنة سواءً منهم المتخصّصون في الجغرافية والرحلات أو المؤرخون؛ حيث مرّوا جميعا على تلك المناطق مرور الكرام؛ كأنها لم تكن ولم تعمّر يوما، ولم تشهد ما سنلمسه في هذه العُجالة من حركية علمية معتبرة، وربما كان السبب الرئيس في ذلك التعصب المذهبي، فالمنطقة كانت على غير المذهب المالكي مما أدى بكُتاب المالكية إلى إغفالها، نضيف إلى ذلك النظرة الهامشية التي كان هؤلاء ينظرون بها إلى حواضر الصحراء باعتبارها خارج حلقة التاريخ، أو بعيدة عن حزام التاريخ الرسمي الذي يقتصر على حواضر الشمال؛ على غرار فاس، ومراكش، وتلمسان، وبجاية، وقسنطينة، وبونة، وتونس، والمهدية، وطرابلس.

لذا أردنا أن نفرد هذه الحواضر بهذه الدراسة، التي ستكون بادرة للتوجّه نحو دراسة الحواضر الصحراوية وإبراز دورها في تاريخ المغرب الوسيط.

1- الظروف التي ساعدت على تقبّل الأفكار الإباضية بحواضر المغرب.

وجدت الإباضية طريقها إلى بلاد المغرب مع مطلع القرن 2هـ/8م، إذ مثّلت بلاد المغرب حينها الأرض الخصبة لكل الفرق المناوئة للسلطة الحاكمة في بلاد المشرق بما فيها الإباضية؛ هذه الأخيرة استغلت الظروف المزرية التي كان بربر المغرب يعيشونها تحت وطأة ولاَة الأمويين ثم العباسيين من بعدهم، إذ اتسم عهد الولاة عموما –إذا استثنينا بعضهم[4]– بالظلم والجور والتعسف ضد البربر[5]، حتى وصل الأمر بهم إلى أن خمَّسوا البربر واعتبروهم فيئا للمسلمين، كما أنهم ساموهم في نسائهم ليهدوهم لولاَة الأمر بالمشرق فينالون رضاهم، وتشير المصادر التاريخية إلى أن أهل المغرب كانوا أطوع الناس لولاَتهم؛ حتى دبّ فيهم أهل العراق فاستشاروهم واستنهضوهم[6]، مستغلّين المعاناة التي كان يعيشها البربر، والتي صبّت في مصلحة الخوارج الذين قدِموا من بلاد المشرق، فاحتضنوا البربر وناصروهم واتخذوا من مطالبهم الداعية إلى رفع الظلم عنهم وتحقيق العدالة والمساواة شعارا لحركتهم؛ التي سرعان ما انتشرت انتشارا واسعا ببلاد المغرب.

أثمرت جهود الخوارج وثوراتهم ضد الولاَة في تأسيس كيانات سياسية كانت أولاها دولة بني مدرار الصفرية بسجلماسة سنة 140هـ، ثم تبِعتها في نفس السنة إمارة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الإباضية بزويلة طرابلس، ولما أسقطت جنود العباسيين هذه الإمارة فرّ عبد الرحمان بن رستم إلى المغرب الأوسط ليؤسس هناك الدولة الرستمية بتاهرت سنة 160هـ[7].

وجدت القبائل البربرية في المذاهب الخارجية نفسها، وأحسّت أن مبادئ تلك المذاهب إنما تقوم على أحقية غير العرب في تولّي الولاية والخلافة، وإسقاط مبدأ أفضلية العربي على غيره، لذلك تبنّت قبائل البربر خاصة البُترية منها المذاهب الخارجية، وقد كان حظ المذهب الإباضي في الانتشار أكثر من غريمه الصفري، وذلك لمرونته ووسطية مبادئه، وابتعاده عن الغلوّ والتطرّف، وانتهاجه لأسلوب الدعوة سبيلا لنشر آرائه عن طريق ما يُعرف بـ"حملة العلم".

وربما كان لابتعاد الصفرية عن تعاليم الدين بعد أن عاث عاصم الورفجومي فسادا في القيروان عند سيطرته عليها دور كبير في نفور البربر من المذهب الصفري، كما أنهم اعتمدوا فقط على العنف، إذ فتح ميسرة المطغري باب الثورات على ولاة العباسيين بطنجة بالمغرب منذ سنة 122هـ، ثم طغى وتجبّر وأحدث في الدين؛ حتى قتله أتباعه، وبقي الصفرية على نهج العنف إلى غاية انحسارهم في جنوب المغرب الأقصى وتأسيسهم لدولتهم بسجلماسة، حينها بدأوا يميلون للمذهب الإباضي حتى اعتنقه بعض أمرائهم[8].

إن أكبر دليل على التفاف البربر حول الإباضية استنجاد أهل القيروان بأبي الخطاب المعافري عند فساد وطغيان ورفجومة على المدينة[9]، ومنذ تلك الفترة والبربر ملتفون حول المذهب الإباضي خاصة منهم القبائل الزناتية؛ التي وصل امتدادها إلى "أسوف" و"أريغ" فاستوطنتها، وكانت زناتة بطبيعتها البربرية، تكره الاستبداد والطغيان وتثور على الظلم والظالمين، وكان من رموزها خالد بن حميد الزناتي الذي هزم جيوش كلثوم بن عياض القشيري وقضى على الدولة الأموية في المغرب الأوسط والأقصى[10].

وكان بربر المغرب الأقصى والأوسط بعد أن تأسست فيهما الدولتان الخارجيتان (الرستمية والصفرية) قد استمرأوا في ظلّهما –خاصة الرستمية– نعمة العدل والتسامح،

وحينها فقط أدركوا مدى تسلط وسطوة الولاة الأمويين والعباسيين عليهم؛ فناصروا الدولتين؛ وعاشوا في كنفهما عيشة كريمة لم يذوقوها إلا في فترات بعض الولاة العدول كوالي الخليفة عمر بن عبد العزيز إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، والتي سرعان ما انقضت فكانت كلمح البصر[11].

2- حاضرة أسوف وأريغ ضمن الخارطة الجغرافية للفكر الإباضي منذ القرن3هـ/9م.

إن المتتبّع للمجال الجغرافي للدولة الرستمية يجد جذورها ممتدة نحو الجنوب ومناطق الواحات، إذ تقع في مكان يتوسط التل والصحراء، وقد حقق لها ذلك السيادة على المنطقة السهوبية الشاسعة، وما بها من طرق تجارية تمتد غربا إلى المغرب الأقصى وجنوبا إلى قلب افريقيا عبر الصحراء الكبرى[12]، فهي تسيطر على الواحات الجنوبية للمغرب الأوسط على إقليم وارجلان وأريغ وأسوف، كما تمتد نحو جنوب المغرب الأدنى لتسيطر على بلاد الجريد وقابس وجزيرة جربة، كما يصل امتدادها نحو جبل دمّر، ومنه إلى جبل نفوسة، وأقصى جنوب طرابلس نحو غدامس[13].

إذن دخلت أسوف وأريغ ضمن الخارطة الجغرافية للدولة الرستمية، وهي بذلك تدخل ضمن حواضر المغرب الأوسط رغم قربها من المغرب الأدنى، ويعود ذلك إلى الولاء المذهبي والفكري، بحيث والى أهل أسوف وأريغ الإباضية ودخلوا في مذهبهم منذ المراحل الأولى لانتشارها، ونشير هنا إلى أن حملة العلم منذ القرن2هـ /8م كانوا يصولون ويجولون نواحي أسوف وأريغ، ومن بينهم أبو داود القبلي وعاصم السدراتي الذي ذهب الأستاذ الباحث مسعود مزهودي إلى أنه ينتسب إلى سدراتة وارجلان، وعليه يكون نشاطه ضمن

إقليم وارجلان وسدراتة وأريغ وأسوف، كما أن ابن درار الغدامسي يكون قد مر بذلك الإقليم ونشر الفكر الإباضي به، وهو أيضا من حملة العلم على أبي عبيدة بالبصرة[14].

ولما تأسست الدولة الرستمية انضمت أسوف وأريغ لها، فكان حظها من الازدهار الحضاري الذي عرفته الدولة وافرا، فبالنسبة إلى أريغ يشير صاحب غصن البان في تاريخ وارجلان إلى أنها من الأوطان القديمة واسعة الأرجاء متينة الأكتاف وقاعدتها تقرت[15]، ويؤكد ابن خلدون على استبحار العمران فيها عندما يقول:"وأما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة، نزل الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووارکلا، فاختطّوا قصورا كثيرة في عدوتي واد ينحدر من المغرب إلى المشرق، يشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة، قد رفّ عليها الشجر، ونضدت حفا فيها النخيل، وانساحت خلالها المياه، وزهت ينابعها الصحراء، وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء"[16].

ولما كان العمران هو أسّ تطور العلوم واتساع المعارف حسب ابن خلدون[17]، عرفت أريغ على غرار حواضر الشمال ازدهارا علميا وفكريا راقيا، فقصد طلاّبها تاهرت لأخذ العلم عن علمائها وأئمتها، وربما كان للدور التجاري الذي أدته منطقة أسوف وأريغ باعتبارها أحد المحطات التجارية من المغرب نحو بلاد السودان أثر بالغ في وصول الفكر والعلم والمعرفة إليها، خاصة إذا اعتبرنا أن تجار الإباضية كانوا في معظمهم علماء ودعاة لمذهبهم، وتشير الروايات إلى أن أئمة بني رستم أنفسهم كانوا يمتهنون التجارة، وورد في المصادر أن أفلح كان يودّ مرافقة القوافل إلى بلاد السودان غير أن الإمام عبد الوهاب بن رستم منعه من ذلك إذ أراد أن يتضلّع في المسائل الفقهية المتعلقة بالبيع والشراء، وفي تلك دلالة على الروابط التجارية التي كانت بين الدولة الرستمية وبلاد السودان، والأكيد أن تلك الروابط كان الرابط بينها حواضر وارجلان وأريغ وأسوف، التي

كانت طريقا لتلك القوافل ومحطة من محطات راحة التجار المتجهين نحو بلاد السودان[18].

وننوه إلى أن المكانة التجارية للمنطقة كانت منذ العهد الروماني، إذ تشير المصادر الجغرافية إلى أن منطقة "سندروس" الواقعة جنوب أسوف؛ كانت طيلة العهد الروماني محطة تجارية هامة مثلها مثل غدامس، حيث كانت مركز تبادل السلع والبضائع القادمة من المغرب والمتجهة نحو بلاد السودان والعكس.

ولم تشر الروايات التاريخية خاصة في مصادر الإباضية إلى تعيين أئمة بني رستم ولاة لهم في أسوف وأريغ، لذلك نرجّح تبعية المنطقة للدولة الرستمية تبعية ولاء، أو ما يعرَف بالتبعية الإسمية فقط، بحكم التوافق المذهبي، والظاهر أن أهل أسوف وأريغ كانوا يحكمون أنفسهم بأنفسهم وفق نظام قبليّ أو عشيري مشيخي مثلما كانت وارجلان، في حين كان أئمة بني رستم يعينون الولاة في بلاد الجريد وقابس وجبل نفوسة. كما لم تتحفنا بأسماء أعلام من أسوف وأريغ خدموا الفكر الإباضي وأسهموا في نشره خلال العهد الرستمي، وأول علَم إباضي له صلة بالمنطقة ذكرته المصادر كان في القرن4هـ/10م سنذكره في ما سيأتي.

3- دور حاضرة أريغ في الفكر الإباضي بعد سقوط الدولة الرستمية.

بدأ دور حاضرة أسوف وأريغ بل كل حواضر الصحراء يبرز بعد سقوط تاهرت، ذلك أن تلك الحواضر مثلت الملجأ الوحيد والمثالي للإباضية الفارّين من بطش الفاطميين الذين أسقطوا دولتهم وخرّبوا عاصمتهم تاهرت، فلم يكن لهم من ملجأ يومئذ غير الصحراء، التي اتخذوها موطنا لهم رغم قساوة العيش فيها، وكان أول إشعاع علمي فكري

بتلك الحواضر بوارجلان، حين استقبل أهلها إمام الرستميين يعقوب بن أفلح، ومن معه ممن استطاع النجاة من الفاطميين، وكان المذهب الإباضي وقتها قد رسخ في أهل وارجلان بوجود مشايخ كبار حفِظوا للمذهب مكانته، وفي مقدمتهم أبو صالح جنُّون بن يمريان الذي هيأ كل الظروف المادية والمعنوية لاستقبال إخوانه في المذهب، ولم يقف الأمر عند ذلك إذ طلب أهل وارجلان مبايعة يعقوب بن أفلح بالإمامة غير أنه رفضها وقال: "إنه لا يجتمع منكم اثنان إلا كان عليهم الطلب؛ افترقوا فقد انقضت أيَّامكم وزال ملكُكم ولا يعود إليكم إلى يوم القيامة"، ثم قال قولا تركه مثلاً:" لا يسْتتر الجَمل بالغنم"[19].

ومنذ ذلك الوقت بدأ دور حواضر الصحراء المغرب أوسطية يظهر في التاريخ المغاربي؛ الذي كان ولفترة طويلة حكرا على مدن الشمال، إذ أعطى الوجود الإباضي بتلك الحواضر نفسا جديدا للحياة العلمية والفكرية بها، فبرز منها كوكبة من العلماء حفظتهم لنا كتب السير الإباضية التي ترجمت لهم، ولا شك أن نظام العزابة الذي يدخل ضمن ابتكارات فكر وثقافة الواحات الصحراوية يعتبر إبداعا أريغيا بامتياز، وسنبيّن ذلك من خلال ما سيأتي.

إذا تصفّحنا سير الإباضية نجدها تتكلم عن شخصية علمية إباضية مرموقة زارت منطقة أسوف وأريغ طالبة منهم النصرة والمنعة للمذهب، فقد قدِمها الشيخ أبو نوح سعيد بن زنغيل[20]، وكان لأهل أسوف مع أبي نوح موقفا رجوليا يعبّر عن أصالة ونُبْل أخلاقهم حيث وقف أهلها بجنبه أثناء المحنة التي تعرّض لها من طرف عامل توزر؛ فأعانوه بما قُدّر لهم وجمعوا له مالا كثيرا ليفدي به نفسه عند عامل توزر، وهذه الرواية تدل على

صلة أهل أسوف وأريغ الوثيقة بالمذهب الإباضي إذ هبّوا هبّة واحدة وجمعوا للشيخ ما أراد، حتى شكر لهم صنيعهم وحفظ لهم مزيتهم[21].

لقد فاقت أريغ جارتها أسوف في المكانة والدور الذي اضطلعت بهما بعد سقوط تاهرت، ويعود ذلك إلى قربها جغرافيا من عاصمة الجنوب الإباضي "وارجلان"، إذ كان التواصل العلمي والفكري بين الحاضرتين سجالا، حتى اعتبرهما بعض مؤرخي الإباضية مدرسة فكرية واحدة، إذ نجد عديد علماء أريغ قد تتلمذوا على شيوخ وارجلان، كما نجد أيضا طلبة وارجلان يقصدون أريغ للتتلمذ على شيوخها.

وإذا أردنا الوقوف على تلك المكانة يكفي أن نلقي نظرة على سير الإباضية لنجد الحركية التي تميّزت بها أريغ خلال القرن5هـ/11م إذ عجّت بحلقات العلم ومجالس الذكر، خاصة وأن تلك الفترة تزامنت وتأسيس حلقة العزابة؛ التي تحولت من حلقة علم إلى نظام علمي واجتماعي واقتصادي قائم بذاته، وقد حلّ مكان الإمامة وعوّضها[22]، وكانت أريغ حينها مقصد طلاّب وعلماء الإباضية من الحواضر الأخرى، أما الطلبة فمن أجل التتلمذ على شيوخها، أما زيارة الشيوخ والعلماء لها فبغرض زيارة إخوانهم في المذهب وتثبيت الفكر الإباضي بها، ومن ذلك نذكر زيارة الشيخ أبي إسماعيل إبراهيم بن ملال البصير المطكودي لأريغ وكذا أسوف ليطمئن على أرواحهم وليبثّ فيهم علمه[23].

وممن زارها أيضا أبو الخطاب عبد السلام المزاتي[24] الذي كان انتقاله إلى أريغ لسببين؛ الأول ملازمة رفيقه محمد بن بكر الفرسطائي والذي كان يلحُّ عليه في القدوم إلى آجلو ومرافقته لإحياء الدين، والسبب الثاني الفتن والمحن التي شهدتها المناطق الإباضية الأخرى كطرابلس وبلاد الجريد؛ فكان انتقاله إلى آجلو طلبا للأمن والاستقرار الذي عرفته المنطقة في زمن الفرسطائي[25].

كما وفد إليها من تينوال الشيخ ماكسن بن الخير قاصدا الفتوى من علمائها، غير أنه اتخذها فيما بعد مستقرّا له ولأولاده، كما قصدها الشيخ يزيد بن يخلف الزواغي زائرا بعزّابته (تلاميذه) ورغب تلميذه أبو عبد الله اللواتي في المكوث بأريغ للتتلمذ على السيخ أبي محمد ماكسن، كما زارها أبو زكريا يحي بن جعفر الوسلاتي[26] وأبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر ميَّال الذي كان يُقْرئ الطلبة بآجلو آثار الربيع بن حبيب عن ضمام عن جابر برواية أبي صفرة عبد الملك بن صفرة، وكان يفسِّر ويشرح لهم بالبربرية [27]، وعموما كانت آجلو وكلّ أريغ بفضل استقرار الفرسطائي بها قبلة كل علماء إباضية المغرب.

وقد كانت آجلو وقتها من أهم المراكز العلمية في أريغ، عُرفت عند الإباضية ببلدة الصالحين لكثرة من انتُسب إليها منهم، كما حوت عديد علماء الإباضية، وظهرت بها بيوتات علمية توارثت العلم في أبنائها مثل بيت معاذ بن أبي علي الذي قال الشماخي فيه:" خير شيوخ آجلو معاذ، وخير فتيان آجلو ابنه إبراهيم وخير نساء آجلو عائشة بنت معاذ"[28]، وذكرت المصادر أن بأريغ عدد من مستجابي الدعوة سُمّوا بالأبدال السبعة، وفي رواية الشماخي أن قصتهم تعود لرؤيا رآها أبو العباس أحمد الويليلي ليلة القدر، إذ بجاريتين نزلتا من السماء وأخبرتاه عن أبدال الوقت وهم سبعة: عبد الله بن يحي الويليلي، وإبراهيم بن إسماعيل، وإبراهيم بن معاذ –الذي ذكرناه– ويحي بن عيسى والنعيم بن الوالي وقيل سليمان بن عبد الله وصالح بن محمد وقيل: يوسف بن ويجمي وقيل عبد الله بن يعقوب[29].

ومن المراكز العلمية الأخرى بأريغ "تاجديت" التي ذكر الوسياني قوله عنها:" اجتمع في تاجديت خلق كثير؛ اجتمع فيه من أهل الفضل والعدل والخير والحبر والعلم والزهد والعبادة والأدب والورع والسيادة ما لم يجتمع في سائرها، من بلدان أهل الدعوة في ذلك

الأوان"[30]، وذكر الوسياني أيضا كثرة علماء تاجديت وتضلُّعهم في الفقه، وأنَّ بها مائة عالم لا يردُّ أحدهم مسألة إلى الآخر إلا من جهة الأدب والكبر[31]، كما ذكر أيضا أنَّ مقبرة تاجديت من المقابر التي اشتُهرت عند الإباضية بمقبرة الشيوخ البررة لكثرة من دفن منهم بها. ومن علماء تاجديت المشهورين أبو عمران موسى بن زكريا المزاتي، وهو أحد العلماء الذين ألفوا الموسوعة الفقهية الجماعية المعروفة بـ"ديوان العزابة" الذي يقع في خمسة وعشرين كتابا، ويشترك في فترة التأليف ومادّته مع ديوان جربة، وكلاهما ألفا في القرن5هـ/11م، مما أوقع النسَّاخ والدارسين في الخلط بينهما من حيث التسمية.

وما يهمنا الديوان الذي أُلف في أريغ بمشاركة علماء الإباضية بالمغرب، فكان منهم من أريغ أربعة، والعلماء هم:

1- يخلفتن بن أيوب الزنزفي النفوسي.
2- محمد بن صالح المسناني النفوسي.
3- يوسف بن موسى القنطاري الدرجيني.
4- يوسف بن عمران بن أبي عمران المزاتي.
5- موسى بن أبي زكريا المزاتي.
6- عبد الله بن أبي سلام الرمولي.
7- جابر بن حمّو الزنزفي.
8- إبراهيم بن مطكوداسن بن يخلف الدجمي المزاتي[32] .

وبذلك شارك علماء أريغ في التأليف الجماعي المسمّى ديوان العزابة، وكان منهم أربعة من مجموع ثمانية علماء، والآخرون موزّعون على الحواضر الأخرى كأمسنان وقنطرارة وغيرهما، أما الأريغيون الأربعة فهم: الشيخ يوسف بن عمران وهو من تيجديت، ومن

أريغ نفسها الثلاثة الباقون وهم: عبد السلام بن أبي سلاّم وجابر بن حمو وإبراهيم بن مطكوداسن[33].

ونشير إلى أن الشيخ أبا عمران موسى بن أبي زكريا المزاتي شارك أيضا في تأليف ديوان غار أمجماج بجربة، وهو من كتب ديوان عزَّابة أمجماج السبعة حتى نسبه البعض إليه؛ كتبه في اثني عشر كتابا في الفقه[34]، وقال عن ذلك الدرجيني:" رأس من رؤوس المذهب وأعلم علمائه وشمس من الشموس الكاشفة لظلمائه، العلم والأدب حلْيَتُه، والكرم والصبر سجِيَّتُه ..أدرك المشايخ وروى عنهم العلوم والآثار، وسادت تلامذته فكلّ منهم منبر في الدين ومنار"[35].

كما نذكر أيضا من المراكز العلمية بأريغ "تينيسلي"؛ هذه البلدة التي اتخذها أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي (ت440هـ) مستقرا له، وبها بدأ نشاطه العلمي الذي أشعّ على كل المنطقة فشمل كل أريغ وأسوف ووارجلان، لينتقل بعد ردح من الزمن إلى بلاد مزاب، وبيتينيسلي رتّب أبو عبد الله حلقة العزابة التي مهّدت لنظام العزابة، ويقول الدرجيني في ذلك:" ..ثم انتقل أبو عبد الله وتلامذته إلى تينيسلي فرتَّب بها الحلقة وشيَّد من كريم البنيان ما يتشبَّه بها العزابة ويتشبَّهون به الآن، وإن كان الناس قد فسدوا، وفسد الزمان فهذا سبب قعود الحلقة المباركة "[36].

ونشير هنا إلى أن نظام العزابة قد تأسس أول أمره بمسجد المنية بتقيوس من بلاد الجريد سنة 408هـ/1017م-1018 على يد الشيخ أبي عبد الله وبمعية شيوخ جربة، لينتقل بعدها الفرسطائي إلى أريغ سنة 409هـ/1018م وكان لقاؤه بالتلاميذ والطلبة بغار يعرف بـ"الغار التسعي" نسبة لتلك السنة، وتجمع المصادر الإباضية على أنه يقع

بتينيسلي، وبه وسّع الفرسطائي حلقة العزابة لتتحول إلى نظام قائم بذاته، يشمل جوانب عدة من حياة الإباضية العلمية والاجتماعية والعمرانية والاقتصادية وغيرها[37].

وبعد تأسيس نظام العزابة تلقّت الحركة الفكرية جرعة قوية انتعشت بها، فانتشرت حلقات العلم انتشارا واسعا، وقصد أريغ كل إباضية المغرب فأضحت قبلة لهم، وكثر تلاميذ الشيخ الفرسطائي، وكان في مقدمتهم طلبة أريغ الذين كان أشهرهم الشيخ تبغورين بن عيسى الملشوطي[38] الذي برز دوره من خلال نشاطه التعليمي وكثرة تلاميذه؛ حتى اشتهر المكان الذي يعقِد فيه حلقات العلم بغار تبغورين وهو يقع جنب المسجد الكبير بتينيسلي[39]، دون أن ننسى دور ابن أبي عبد الله الفرسطائي نفسه، أبا العباس أحمد؛ الذي سكن وادي ريغ ثم تحول بعدها إلى تمولست بالجنوب التونسي، ليعود بعد ذلك إلى أريغ وتوفي بآجلو سنة 504هـ/1110م، وإن اقتصر نشاط أبيه في حلق العلم ومجالسه وانهمك في تأسيس نظام العزابة؛ فإن ابنه اهتم زيادة على ذلك بالتأليف في الفكر الإباضي، حيث ألف خمس وعشرين كتابا؛ أهمها "كتاب أصول الأراضين" و"تبيين أفعال العباد"، والكتاب الجامع المسمّى "أبي مسألة"، وكتاب "الألواح" وغيرها[40].

وآخر المراكز العلمية بأريغ بلدة تيغورت التي التحقت بركب الحواضر العلمية وبدأ نجْمها يسطع منذ القرن 7هـ/13م، وأصبحت فيما بعد عاصمة وادي ريغ[41]، ومن علمائها الكبار الشيخ العالم التقي أبو زيد عبد الرحمان بن المعلّى وهو أوّل من أسس الحلقة بمسجد تيغورت في النصف الأول من القرن 6هـ/12م، وقصده طلاّب العلم من جميع الآفاق[42]، وقد تجاوزت حلقة الشيخ أبي زيد مهمّتها التربوية والتعليمية حتى نُصِّبت كسلطة سياسية تدير شؤون البلد[43].

وبذلك نجد أن أريغ استقت الحظوة والمكانة من قدوم شيخ الإباضية وعلاّمتهم أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، حيث نزل بين أهل أريغ الذين رأى فيهم سخاوة النفس وسلامة الصدر والبرْء عن الدنيا[44]، واختار أبو عبد الله أريغ لتكون منطلقا لمشروعه الفكري، الذي نضُج بها، وفيها اكتمل، وأصبح قابلا للتصدير إلى مختلف الحواضر الإباضية بالمغرب.

4- دور علماء أسوف في الفكر الإباضي بعد سقوط الدولة الرستمية

إذا كانت أسوف لم تحظ بقدوم كبار علماء الإباضية إليها على غرار أبي عبد الله الفرسطائي فتزدهر بهم الحركة الفكرية؛ غير أن طلبتها كانوا ينتقلون بأنفسهم حيث أماكن العلماء؛ فيأخذون عنهم وينهلون من علومهم، ويرجعون إلى أسوف ليعلموا أهلهم ويفقهوهم في المذهب الإباضي، وكانوا يقصدون الحواضر القريبة كوارجلان وأريغ وبلاد الجريد، وتشير الروايات أن حلقة أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(ت471هـ) كانت تضم أعدادا من طلبة أسوف[45].

وتكتسي أسوف مكانتها في المذهب الإباضي من مكانة علمائها الذين وصلوا درجة المشيخة عند الإباضية، ونخص بالذكر العالم النحرير والفقيه الجليل أبا عمرو عثمان بن خليفة المارغني السوفي، وهو عالم محدث إباضي أصيل أسوف، ولد قبل سنة 471هـ/1078م، أخذ العلم عن أبي زكريا يحي بن أبي بكر الوارجلاني بوارجلان، وعن أبي العباس أحمد الفرسطائي(ت504هـ /1110م) وتوفي قبيل سنة 530هـ/1135م، كان كعادة تلاميذ أسوف ينتقل بين وارجلان والجريد وحتى طرابلس لتلقّي العلم من معْدنه، وكان فقيها متكلّما مشهورا، حفظت لنا المصادر عدة تآليف له منها "كتاب

السؤالات" الذي أتمّ كتابته أبو عمار عبد الكافي، ولا يزال مخطوطا، وله كذلك "كتاب الإسناد" اعتمادا على سير الشيخ أبي خليل صال[46].

قال الدرجيني مترجما له:" هو في أهل المذهب أحد الأعلام، الكاشف بحسن بيانه ونور منطق لسانه دياجي الظلام، المفتي في العلوم لا سيما علم الكلام، المجاحش المدافع عن كلمة الإسلام، حتى أن له في مواطن اللين قراعا بلسان مخدام، وربما كان في محل هدنة فاشتعل الإضرام، ولم يعبأ بمن قال، كل مقال له مقام"[47]، وقال عنه الشماخي:"كان إماما في العلوم لا سيما الكلام"[48].

ومن شيوخه أيوب بن إسماعيل الذي درس عليه بوارجلان ولما أكمل التتلمذ عليه خرج الشيخ مشيّعا له ومودّعا وناصحا فقال له:" الوطوطة والعلم لا يجتمعان"[49].

أظهر الشيخ أبو عمرو السوفي قدرة فائقة في التأليف ولا أدل على ذلك تأليف كتاب السؤالات وهو تأليف مفيد أظهر فيه منزلة من العلم رفيعة[50]، جمع فيه علم اللغة والأدب وابتدأه بشرح "بسم الله الرحمن الرحيم" وفصّل في معناها وجوهرها وإعرابها؛ فقال في أول المخطوط:" الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، باب في فضل بسم الله الرحمن الرحيم..قال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله: كيف تفتح الصلاة (فكان جوابه بقوله: تفتح)[51] بالحمد لله رب العلمين، قال قل: بسم الله الرحمن الرحيم، قال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام، فعلمني الصلاة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم فجهر بها"[52].

وبعدها تم عرض عديد المسائل الكلامية التي خاض فيها أبو عمرو، وكان منهج كتابته يعتمد على طريقة (سؤال-جواب) كقوله: إن سأل سائل فقال، أو قوله: فإن

سأل أحد، ثم يورد جوابه، وهي طريقة أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي في مختلف تآليفه، ومنها كتاب التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية[53]، لذلك نرجح أن السوفي قد كتبه عن شيخه أبي الربيع أو أنه تأثر به في منهج التأليف.

ومن أولى القضايا الكلامية التي طرحها أبو عمرو السوفي تلك المتعلقة بحدوث الأشياء وقضايا الخلق، إذ طرح السؤال بقوله: "إن سأل سائل فقال: ما دليلك على أنك مخلوق، معناه على أن لك خالقا، قال: لمن هذا السؤال ألمن يقرّ بحدوث الأشياء وأنكر محدثها، أو لمن يقرّ بمحدثها وأنكر حدوثها"[54]، ثم أورد جوابه عنها وهو في ذلك يريد إفحام الدهرية الذين أقروا بحدوث الحلق وأنكروا محدثها وهو الخالق سبحانه وتعالى.

وعموما كتاب السؤالات هو جوابات عن خمسة وتسعين سؤالا في جميع مسائل الأصول، وهو ثروة فكرية علمية تمكّن الإباضية من الاستعداد للإجابة عن أيّة قضية من القضايا التي تُطرح في حلقات المناظرات في ذلكم الجوّ المفْعم بالجدل والصراع المذهبي مع المخالفين، وهو عمل كلامي كبير؛ خليط من تفسيرات أدبية لتعابير كلامية على أساس القرآن والحديث والشعر العربي القديم، شمل عديد الآراء والعبارات المتداولة وسط علماء الإباضية وطلاَّبهم، وكان تأليفه نقْل لردودٍ على عدد كبير من الأسئلة، يتلعق معظمها بموضوعات وحدانية الله، وإظهار الإيمان، والولاية والبراءة، والأمر والنهي، وقضايا لا يسع جهلها، بالإضافة إلى أصول الدين، ومنها إبراز تسعة بنود في المذهب الإباضي[55].

وكما ذكرنا أن أصل الكتاب ربما يعود إلى أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي وهو ما ذهب إليه أصحاب المعجم[56]، غير أنه من رواية وإملاء وإضافة أبي عمرو السوفي، وفيما بعد جمعه ورتّبه تلاميذه الذين منهم أبو يعقوب يوسف بن محمد، وتمّ نسخه من طرف عيسى بن عيسى النفوسي، وقد قال أبو عمرو ذلك بنفسه في المخطوط الذي بين

أيدينا:" سؤالات الشيخ أبي عمرو رحمه الله، وقد عُرض على عدد من تلاميذه، وعلى كتب الشيوخ رحمهم الله، واللغة –فصُحح فهو الأم إن شاء الله– عرضتين، معروض على الشيخ أبي محمد عبد الله بن سجميمان، والمعيز بن جناو، وأبي الفتوح، والعرضة الآخرة على الشيخ أبي نوح ابن الشيح إبراهيم رحمة الله عليهم، أملاه أبو يعقوب يوسف ابن محمد، وألفه عيسى بن عيسى النفوسي، وزاد فيه بعض أمالي الأجر، وكل ذلك عن الشيخ أبي عمرو عثمان، وعن تلاميذ أبي الربيع سليمان بن يخلف عن أبي الربيع رحمة الله عليهم"[57]. ويؤكد ذلك أوّل سؤال ورد في الكتاب، بحيث كان على النحو التالي:"سؤال أول عن الشيخ أبي عمرو عثمان بن خليفة المارغني رحمة الله عليه، وزيادات من سماع عنه من بعض تلاميذه رحمة الله عليهم، إن سأل سائل ... "[58] فأصل الكتاب إذن للمزاتي والكتاب ذاته للسوفي.

وألف أبو عمرو السوفي أيضا كتابا آخر في الفرق والمذاهب؛ ردّ فيه على آراء الفرق المخالفة للمذهب الإباضي؛ وخاصة الفرق المنشقة عن الإباضية وكانت ست فرق هي : النكارية والخلفية والنفاثية والفرثية والحسينية الاطرابلسية أوالعمرية والسكاكية، وسمّى رسالته عن الفرق بـ:"**رسالة في بيان كل فرقة** "[59]. قال الشماخي عن ذلك التأليف "وكلُّ ذلك يفحمهم ويبكّتهم"[60].

ونذكر من ردود الشيخ أبي عمرو السوفي في رسالته عن الفرق قوله في الفرقة النكارية التي خرجت عن الإمام عبد الوهاب بن رستم ورفضت إمامته: "وقال النكار: إن حجة الله لا تقوم إلا بسماع ثم استدركوا وقالوا: قد سمع الناس افتراء منهم، وقال المسلمون: إن حجة الله تقوم بسماع لمن كان على دين الله من أتباع الأنبياء عليهم السلام، وبغير سماع لمن لم يكن على الدين من الكفرة، لأن الله حرّم الكون على المعصية والكفر ولو قبلة

عين وحالة واحدة"[61]. وكان أبو عمرو السوفي شديدا على الفرق المخالفة ووصل به الأمر إلى تكفير بعضها، كما هو الحال بالنسبة للفرقة الحسينية الطرابلسية بعد أن أورد عقائدها الفاسدة والتي منها حسبه :

- لا يشرك من أنكر سوى الله.

- كل متأوّل مخطئ مشرك.

- الحب والرضا والسخط والبغض والولاية والعداوة أفعال الله ليست بصفات له.

- يسع جهل معرفة محمد –صلى الله عليه وسلم- وليس على الناس إلا معرفة المعبّر عنه[62].

وقد حكم أبو عمرو السوفي بكفْر أحمد بن الحسين الطرابلسي انطلاقا من عقائده تلك، فقال:" ..فإن قال لم أعرف محمدا صلى الله عليه وسلّم أشرك، فإن قال ليس عليّ من معرفته شيء فقد كفر ونافق وهو قول أحمد بن الحسين الطرابلسي"[63]، في حين يؤكد أبو عمرو السوفي على أن الخلاف بين الوهبية الإباضية وفرقة الخلفية لا يتعدّى أن يكون صراعا مذهبيا؛ إذ لم تختلف الفرقتان إلا في مسألة واحدة وهي قول الخلفية: لكل حوزة أمام لا يعْدوها إلى غيرها غير أن حكمه عليها كان قاسيا، حيث ذكر" أنها ضلّت ضلالا بعيدا لخلافهم الإجماع ونقْضهم ما سارت به الأئمة أجمعون، وإنما خرج عن الإمام عبد الوهاب أيضا، وكذلك النكار خروجهم"[64].

وزيادة على ذلك كانت لأبي عمرو بصمة في مجال التاريخ إذ أن القارئ لكتاب سير الوسياني يكتشف مكانة أبي عمرو السوفي في رواية الأخبار، ورغم أنه لم يؤلف في ذلك كتابا إلا أن الوسياني حفظ لنا معظم مروياته، فتجد في سيره كثيرا ما يذكر :" أبو عمرو

يقول" فأبو عمرو يعتبر الشخصية المفتاح في خاصة في الجزء الثالث منه حيث نقل عنه المؤلف معظم رواياته[65].

كما ذكرت مصادر الإباضية علما آخر من أعلام إباضية أسوف وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي السوفي كان حسب الشماخي عالما سخيّا، عابدا تقيّا، مستجاب الدعوة، حازما لأموره، لا تأخذه في الله لومة لائم[66]. وقال فيه الدرجيني وهو المعاصر له :"ذو السخاء والفتوّة، والدين والمروءة، والقيام والصيام، والسهر إذا الناس نيام، المتحرّي الأورع، الوقور الأروع، الحازم ولم يفْرِط، الزاهد ولم يفرِّط، سلِمت له دنياه مع سلامة الدين، وكان يذكَر في الهادين المهتدين، وممن تجري الصالحات على يديه، ويفزَع في العظائم إليه، فإنه لحليم أوّاب، ذو دعاء مستجاب، وله يد في مسائل المذهب، وفي المواعظ إذا رغّب أو رهّب"[67].

وكان مثل سابقه في مجال الدعوة ونشر العلم، إذ تجاوز دوره حدود أسوف، وتعدّاه إلى بلاد الجريد إذ يقول الدرجيني أن فتنة وقعت بدرجين السفلى الجديدة فأفضت إلى التقاتل بينهم، فما كان من العلماء من أمثال الشيخ أبي عبد الله السوفي إلاّ أن انتفض لإنهاء الخلاف وإيقاف القتال الذي كاد أن يفضي إلى إفناء الطرفين، فقدم الشيخ إلى درجين؛ ولما وصلها تمادى إلى ربض نفطة ولم يدخل درجين حتى خرج إليه من بربض نفطة من الفقهاء والعزابة، فيهم الشيخ يخلف بن يخلف ومحمد بن سعيد، ورغِبا إليه في النزول إلى الضيافة، فامتنع وقال: جئت لمهم ولا أشتغل بغيره، وأريد معونتكما فيه بأن تحضرا لي كل مهاجر إليكما مفارق لوطنه.

فأحضروا من طاوعهم من أضيافهم من أهل درجين، فذهبوا إلى خارج درجين، فنزلوا حول مسجد قنطرار العليا، فخرج إليه أهل درجين من كلا الفريقين، فيهم الواتر والموتور،

والوارث والموروث، ورغب إلى أولياء الدماء، فعفوا عنها، وندب جميعهم إلى الصلح، فأجابوا، وعقده بينهم، فلما تمّ، أتى بسبع حصيات وأخذها من أيدي سبعة رجال حُجّاج استلمت الحجر الأسود، وحفر في الرمال حتى غاب عاتقه، فأخذ الحصيات من أيديهم ورمى بها في الحفرة ودفنها وقال:"هذه فتنة أهل درجين قد دُفنت، فمن آثارها جعل الله بأسه برأسه! فأمّنوا لدعائه وقطعها الله إلى اليوم"[68].

وتبين الرواية مدى المكانة والحظوة التي وصل إليها علماء أسوف في المجتمعات الإباضية ببلاد المغرب؛ حتى أصبح لصوتهم صدى ولكلمتهم مسمع، واستفاد منهم المجتمع الإباضي أيّما استفادة، فمن طالب لفتوى، إلى طالب لصلح، إلى طالب لعلم، وبين هذا وذاك تجد علماء أسوف سبّاقين للخير، خادمين للمذهب، ناشرين للفكر.

وتشير رواية أخرى وردت عند كُتّاب السير الإباضية تبرز مكانة الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي السوفي؛ إذ قال فيه الشماخي :"وكان أبو عبد الله عظيم القدر في أهل المذهب، بحيث لا يجهل موضعه ولا يجحد حقّه، ولا ينكر فضله، وما يشهد بذلك قصيدة الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الحجازية إذ قال من البحر الطويل:

خرجنا نؤم الشرق من حيز وارجلان بفتية صدق من وجوه العشائر

ثم وصل إلى بيت قال فيه:

ومغراوة عُليا زناتة كلِّها وغيرهم من خير أهل الجزائر[69]

ولم يكن معهم من مغراوة إلا أبو عبد الله السوفي، وكأنّه جعل كل قبيلة مغراوة التي تقطن أسوف في أبي عبد الله لمكانته، وأول القصيدة:

عذيري عذيري من ذوات المعاجر ذوات العيون النجل بيض المحاجر[70]

قال الدرجيني: قد حضرت الفقيه أبا العباس أحمد الفرسطائي مرارا وفي يده القصيدة الحجازية، فإذا شرح لنا القصيدة ووصل إلى تلك الأبيات قال :"وناهيك بواحد يقوم مقام جماعة في مثل تلك القصيدة التي بقيت تاريخا"[71]، وبالجملة فضائله كثيره مخلدة في الكتب[72].

وعموما فإن البعض يختزل مكانة أسوف في المذهب الإباضي في مكانة أبي عمرو السوفي في الفكر الإباضي، كما أن مكانة أبي عمرو اختُزلت في كتابه السؤالات، ولكن لم يكن أبو عمرو السوفي العلم الوحيد الذي صنع أمجاد أسوف –وإن كنا لا ننكر أنه لا يضاهيه أحد من علماء الحاضرة؛ بل يقارَن أبو عمرو بأعلام المذهب ومشايخه الكبار من الجهابذة أمثال أبي عمار عبد الكافي وأبي يعقوب يوسف الوارجلاني وغيرهم– فقد خرّجت أسوف علماء كثر أدّوا دورهم في الفكر الإباضي غير أن المصادر سكتت عنهم ولم تذكر منهم إلا نفرا يسيرا كان منهم أبو عبد الله محمد بن علي المذكور آنفا، وهكذا فإن مكانة الحاضرة إنما تستقيها من مكانة علمائها الذين يسهمون بإنتاجهم الفكري في تبلور الآراء وتطويرها، وقد أحرز أبو عمرو قصب السبق في ذلك عن غيره؛ إذ كان منظّرا لا مقلّدا، مبدعا لا مبتدعا، ناقدا لا متّبعا.

6– انحسار الإباضية عن أريغ وأسوف وتسيّد المذهب المالكي بها.

رغم تجذر المذهب الإباضي في كل من أسوف وأريغ والذي استقر بها لما يقرب من أربعة قرون كاملة، اجتمعت عوامل عديدة أدت إلى انحسار الإباضية وبشكل نهائي منهما، وسنحاول رصْد بعضها، والوقوف على مظاهر ذلك الانحسار.

يمكن أن نقسم عوامل الانحسار إلى قسمين؛ منها المتعلق بالعامل الخارجي الذي قام به المخالفون للإباضية، ومنها العامل الداخلي المتعلق بالداخل الإباضي أو بالإباضية أنفسهم، أما العوامل الخارجية فمن أهمها وأبرزها الاقتحام المالكي لمعاقل الإباضية، والذي كان مدفوعا ومدعوما من قبل الأنظمة السياسية منذ عهد الصنهاجيين الزيريين إلى عهد الحفصيين.

فببلاد أسوف برز دور الشيخ طاهر المزوغي (ت646هـ/1248م) الذي استقر بواحة أسوف وعمل على نشر المذهب المالكي بالمنطقة، وقد كللت جهوده وجهود من جاء بعده بالنجاح حتى لم يبق بأسوف أي أثر مادي أو معنوي يدل على الوجود الإباضي بها[73]، كما تذكر المصادر الإباضية أن أبا عمرو عثمان بن خليفة المارغني السوفي كان من كبار دعاة الإباضية حريصا على تثبيت المذهب ونشْره، وتورد أنه كان يقارع المخالفين ويفنّد حُجَجهم خاصة المالكية منهم، حتى اغتاض منه أعداء المذهب فخططوا للإيقاع به في إحدى مناظراته ببلاد الجريد التي بدأ المذهب الإباضي بها يخفُت، ولم يزل في إدبار منذ عهد أبي القاسم يزيد بن مخلد وأبي خزر يغلا بن زلتاف أي في القرن 4هـ/10م[74].

تقول الرواية أن أبا عمرو جاز على بلاد الجريد كعابر سبيل وأراد أن يثبت المذهب الإباضي بها لما علم من نشاط المالكية الحثيث في إقناع أتباع الإباضية بالتخلّي عن مذهبهم، فكان بها يعِظُ ويحذر حتى عضّت عليه المالكية الأنامل من الغيظ، فتشاوروا في مناظرته واتفقوا على أن لا قوة لهم بمناظرته، ولكن يحتالون كيف يشنّعون عليه ويتظلّمون بما لا ظلم فيه.

ووضعوا سؤالا مفخّخا إذ علموا الردّ عليه مسبقا، فقالوا للشيخ: هل يجوز في مذهبكم نكاح نسائنا؟، فأجاب بالحق أن المحصنات من أهل الكتاب يجوز نكاحها، فكيف بالمسلمة!، قالوا حينها: أنزلتنا منزلة اليهود والنصارى! فقام العامة عليه قيام رجل واحد شتما وصفعا وطردا حتى وقاموا على الإباضية الوهبية فنفوهم من الحامة وبلاد قابس وأكرهوا من بقي بالرجوع إلى مذهبهم، وغسلوا المسجد الكبير الذي كان للإباضية، وزعموا أن ذلك تطهيرا له[75].

كما كان للهلاليين دور مهم في نشر المذهب المالكي في معاقل الإباضية، ونذكر على سبيل المثال دور سعادة الرحماني الرياحي الذي تزعم الحركة التي حولت الزاب إلى التصوف السني[76]. ومن جهة أخرى أثّر الإختراق الهلالي لحواضر بلاد المغرب في إعادة هيكلتها بحيث هيمن الهلاليون على قرى ومدن الزاب وأريغ وأسوف ومعظم المغرب الأوسط؛ في حين تراجع دور قبائل زناتة وبني يفرن ومغراوة التي لم تعد قادرة على الحفاظ على نفوذها في تلك المناطق لتتحول بعدها إلى جنوب تلمسان وإلى المغرب الأقصى وكذلك إلى واحات الصحراء حيث عملوا على بناء قرى محصنة كما هو الحال بوارجلان[77].

ومن العوامل الداخلية المتعلقة بالإباضية أنفسهم نذكر العامل الاقتصادي الناتج عن الظروف الطبيعية القاسية؛ وهي التي أدت بأبي عبد الله الفرسطائي لأن يفكّر في الانتقال بأتباع الإباضية وعزابتهم من أريغ إلى بادية بني مزاب، وربما أثّر ذلك الانتقال على حاضرتي أريغ وأسوف؛ إذ بدأ المذهب الإباضي بها يشق طريقه نحو الأفول، فقد شهدت حاضرة أريغ جفافا وحالة من القحط وغوران عيون المياه، فتأثر بذلك الزرع والضرع، ونظرا لكثرة سكان أريغ، فقد ضاقت بهم الأرض بما رحُبت، ولم تعُد لها أي طاقة على

تحمّلهم، فأدرك حينها أئمة الإباضية وكبارها وفي مقدمتهم الفرسطائي أن لا ملجأ لهم ممّا يعانوه إلا بالانتقال إلى بادية بني مزاب، وهو القرار الذي تمخَّض عن مؤتمر أريغ سنة 420هـ/1029م، وقد كُلف الفرسطائي للقيام بالبحث عن المكان المناسب للاستقرار والاستيطان ببادية بني مزاب، وقد وجد الفرسطائي صعوبات جمّة لم يثنه عن عزمه في مواصلة الكفاح لاستقطاب سكَّان بادية مزاب المعتزلة للمذهب الإباضي، فظلَّ يهادن ويسايس ويلايِن؛ فتارة يدعو وأخرى يجادل ويناظر حتى ألان قلوبهم، ورحّب به القوم بعد طول جفاء، حينها بدأ انتقال الإباضية فرادى وجماعات من أريغ وأسوف إلى بلاد مزاب[78].

كما أن عامل الفتن والعداوات، وغارات السلب والنهب التي كان يتعرّض لها الإباضية من وقت لآخر؛ كان له دور في هجرة الكثير من أتباع المذهب عن أريغ وأسوف إلى مناطق أخرى أكثر أمنا، ومثال ذلك انتقال الفرسطائي من أريغ إلى وارجلان بسبب قطاع الطرق الذي فرضه رجال من بني ورماز، فأكثروا الفساد والأذى بأهل أريغ وعزابتهم[79]، كما نشير إلى غارات الأعراب البُداة من بني هلال[80]، ومن سلك مسلكهم من قبائل البربر على أتباع الإباضية، كل ذلك جعل الإباضية يبحثون عن مناطق آمنة للحفاظ على مذهبهم[81].

وتشير الروايات الإباضية إلى أن أتباعهم قاوموا المد الهلالي الذي لم يُبقِ ولم يذر، وكان الغالب عليه الغصب والنهب حتى أن أبا الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت471هـ/1078م) أصدر فتوى بالبراءة من قبائلهم لأنها كما يقول"غارة غصبة، نهمة نَهَبة، بل واستحل دماءهم لاجتماعهم على الحرابة مستدلاً بأنهم يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا، ولم يتخذ أبو الربيع هذا الموقف إلا بعد أن هوجم هو

وطلبته من قبلهم؛ وقُتل أحد طلبته، مما اضطرّه للهجرة والارتحال إلى "تونين" التي توفي فيها، وأكّد لطلبته أن فتْواه مرهونة بسلوكات تلك القبائل؛ فإذا صادف أن كان أحدهم صالحا لم يكن مقصودا بالفتوى[82]، ويؤكد ابن خلدون زحف القبائل العربية على مناطق الإباضية في قوله:" وملك الكعوب ومرداس من بني سليم ضواحي الجانب الشرقي كلها، من قابس إلى بونة نفطة، وامتاز الزواودة بملك ضواحي قسنطينة وبجاية من التلول ومجالات الزاب وريغ ووارکلا وما وراءها من القفار في بلاد القبلة"[83]، وقال في موضع آخر:" وزحفوا إلى مواطنهم فتغلبوا على أطراف الزاب من وارکلا وقصور ريغ وصيّروها سهاما بينهم"[84].

إضافة إلى الفتن الداخلية التي عصفت بحواضر الإباضية خاصة ناحية وارجلان وأريغ إذ تشير المصادر إلى أن الشيخ أبا صالح بكر بن قاسم اليراسني(القرن4هـ/10م) انتقل من بادية "أزران" إلى جربة بسبب اضطراب نيران الفتن[85].

وشهدت وغلانة فتنة أخرى بين بني ستتين وأهل وغلانة، ووصل الأمر إلى التقاتل بينهما وقد حاول بعض مشايخ الإباضية إنهاءها ومنهم الشيخ أبو محمد ماكسن بن الخير (القرن5هـ/11م) الذي انتقل إليهم بخلقته فلم يزل بهم يكفّ شرَّهم حتى قطع الخلاف وأقام الائتلاف بينهم، لكن سرعان ما نشب الصراع بينهم من جديد حول موقع بناء مسجد، فما كان من المشايخ إلا أن غادروا وغلانة ومن هؤلاء أبو محمد المذكور ويعقوب بن أبي موسى الزواغي والشيخ يعلو بن صالح وغيرهم اعتزالا للفتنة[86].

كما وقعت فتنة أخرى بين وهبية أريغ سنة 471هـ/ 1079م وهي فتنة "خيران" و" تاغمارت" جعلت المشايخ يفرّون منها وينتقلون إلى الحواضر المجاورة، فانتقل أبو يعقوب

يوسف بن محمد بن بكر الفرسطائي(ت504هـ/1111م) إلى وارجلان واستقرّ بـ"تماواط"[87] كما هرب منها أيضا الشيخ أبو صالح الياجراني إلى وارجلان[88].

وقد أدت كل تلك العوامل إلى إضعاف المذهب بادئ الأمر وبداية ضموره تمهيدا لاندثاره تماما بها، ويشير الباحث الإباضي بالحاج ناصر إلى أن المذهب الإباضي بأريغ استمر في الانحسار من أريغ حتى القرن9هـ/15م واعتماده في ذلك كان على مخطوطة[89] حصل عليها تبرز تدنّي مستوى الفكر الإباضي بها، حيث وردت أسئلة من أحد شيوخ تماسين يدعى أحمد بن سعيد التماسيني بعث بها إلى شيوخ جربة ونفوسة وكانت في معظمها نوازل حول: التعامل مع المخالفين وما يتعلق بالولاية والبراءة، أخرى حول فقه الأيمان والنذور والدّيْن، وأخرى حول تجارة العبيد لتي انتشرت بالمنطقة في تلك الفترة، وكذلك نوازل حول الصّداق، وآخرها جاءت في الاستطباب وما يتعلق به من أخطاء الحجامة والكي[90]، وقد رأى الباحث أن بساطة الطرح في الأسئلة تبرز مستوى الفكر الذي كان عليه إباضية أريغ في تلك الفترة وهم الذين كانوا أسياد الجدل والكلام، وما تدنّي مستواهم إلا دلالة على ضعف المذهب بها.

وقد تحولت بذلك عديد الحواضر الإباضية ببلاد المغرب إلى تجمعات سنية، وفي مقدمتها أريغ وأسوف؛ التي استطاع المالكية بها إقناع أهل المنطقة بصحّة اعتقادهم، فرسخ بذلك المذهب المالكي وسيطر على كل بلاد المغرب الأوسط ولم يبق للإباضية إلا الانكماش في منطقة مزاب، ولا زالت الخارطة المذهبية التي رُسمت في بلاد المغرب الأوسط منذ القرن 6هـ/12م قائمة على ما كانت عليه إلى اليوم، إذ حافظ المغرب الأوسط –بل كل المغرب الإسلامي– على مالكيته، في حين بقي الإباضية بمزاب محافظين على

إباضيتهم في جوّ من التعايش والتفاهم، باعتراف كل طرف بالآخر بعيدا عن التعصب المقيت الذي يفضي إلى الصراع والنزاع والتناحر.

الهوامش:

[1] حملة العلم مصطلح يطلق على التلاميذ الذين تخرجوا في مدرسة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة في النصف الأول من القرن2هـ/8م، أخذوا عنه أصول الدين والفقه الإسلامي ومبادئ السياسة الشرعية، وانتقلوا إلى بلدانهم علماء دعاة إلى المذهب الإباضي يشكّلون النواة الأولى للفكر الإباضي والعمل السياسي في مناطقهم بالمشرق والمغرب. ينظر إبراهيم بحاز وآخرون: معجم مصطلحات الإباضية، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 1429هـ/2008، ج1/ص307.

[2] الظهور أحد مسالك الدين الأربعة ومظهر من مظاهر الإمامة عند الإباضية، والظهور هي الإمامة الكبرى، وتأتي غالبا بعد إمامة الدفاع، ويكون أمر المؤمنين فيها ظاهرا، بحيث يستطيعون تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الظالم وردّ العدو. ونشير إلى أن مسالك الدين الثلاث الأخرى هي (الكتمان والدفاع والشراء). ينظر إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2/ ص659.

[3] ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار افريقية والمغرب والأندلس، تحقيق ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيرت لبنان، ط3، 1983، ص196-197.

[4] من هؤلاء الولاة الذين اشتُهروا بالعدل وخدمة الرعية نذكر منهم محمد بن يزيد القرشي، وإسماعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر والي عمر بن عبد العزيز على افريقية الذي قال فيه الرقيق القيرواني" كان خير وال لخير أمير، ومازال حريصا على دعاء البربر إلى الإسلام فأسلم بقية البربر على يديه" ينظر: الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2/ ص119 ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج4/ ص230.

[5] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ص714.

[6] ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب، ج1/ ص48.

[7] المصدر نفسه، ج1/ ص72.

[8] عبد الرحمان بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، تحقيق سهيل زكار وخليل شحادة، دار الفكر ، بيروت لبنان، 1421هـ/2000م، ج6/ص172-173.

[9] ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب، ج1/ص70-71.

[10] محمدعلي بوز : تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1383هـ/1963م، ج3/ص34

[11] المرجع نفسه، ص45.

[12] محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1408هـ/1987 م، ص97.

[13] إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، الجزائر، ط1، ص153. كما ينظر إلياس بن عمر الحاج عيسى: حواضر المغرب الأوسط ودورها في نشر الاسلام ببلاد السودجان" وارجلان أنموذجا" مجلة الحياة، معهد الحياة وجمعية التراث، القرارة – الجزائر، المطبعة العربية، غرداية، العدد22، ذي الحجة 1438هـ/سبتمبر 2017م، ص65.

وينظر أيضا:

Cyrille Aillet: L'ibàdisme ,une minorité au cœur de l'islam,op.cit, p4.

[14] مسعود مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط ، ص 33-.34

[15] إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام: غصن البان في تاريخ وارجلان، تحقيق إبراهيم بن بكير بحاز وسليمان بن محمد بومعقل، مطبعة العالمية، غرداية الجزائر، ط1، 1434هـ/2013م، ص 382.

[16] ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج7/ص64.

[17] ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2008، ص 135 وما بعدها.

[18] إلياس بن عمر الحاج عيسى: حواضر المغرب الأوسط ودورها في نشر الاسلام ببلاد السودان" وارجلان أنموذجا" مجلة الحياة، معهد الحياة وجمعية التراث، القرارة – الجزائر، المطبعة العربية، غرداية، العدد22، ذي الحجة 1438هـ/سبتمبر 2017م، ص65.

[19] أبو العباس الدرجيني : كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، من كتب التراث، ط2، ج1/ص105-106. كما ينظر:

Virginie Prevost :Une tentative d'histoire de la ville ibadite de Sadrāta , op cit ,p 3.

[20] أبو نوح سعيد بن زنغيل

[21] الدرجيني : الطبقات ، ج2/ص302. الشماخي : السير ، ج2/ص638.

[22] أبو الربيع سليمان الوسياني: سير الوسياني، تح: عمر بوعصبانة، نشر وزارة التراث والثقافة، مسقط، عمان، ط1430،1/2009، ج2/ص745.

[23] الوسياني: سير الوسياني، ج1/ص347.

[24] المصدر نفسه، ج2/ص586.

[25] الدرجيني : الطبقات ، ج2/ص227-228. الشماخي : السير ، ج2/ص588.

[26] ابو العباس احمد الشماخي :كتاب السير ، تح: محمد حسن، دار المدار الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ج2/ص579

[27] الدرجيني : الطبقات ، ج2/ص238. الشماخي : السير، ج2/ص595.

[28] الشماخي : السير، ج2/ص614.

[29] الشماخي : السير، ج2/ص620.

[30] الوسياني : سير الوسياني ، ج2/ص645.

[31] وقد ورد مثلها في علماء جبل نفوسة . ينظر الوسياني : سير الوسياني ،. ج2/ص645.

32 إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج1/ص394.

33 الشماخي : السير، ج2/ص627.

34 الوسياني : سير الوسياني، ج1/ص343-704.

35 الدرجيني : الطبقات، ج2/ص230.

36 الدرجيني: الطبقات ،ج1/ص172.

37 الدرجيني: الطبقات، ج1/ص169. الحياة الثقافية جربة ص54.

38 تبغورين ...

39 الوسياني : سير الوسياني ،ج2/ص593. الشماخي : السير ،ج2/ص615-628.

40 السير:الشماخي، ج2/ ص616-617- 959.

41 عبد القادر موهوبي : مرجع سابق، ص64.

42 الشماخي : السير ، ج2/ص630.

[43] يوسف بن بكير الحاج سعيد : تاريخ بني مزاب، 26.

[44] إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام: غصن البان في تاريخ وارجلان، ص383.

[45] الدرجيني : الطبقات ، ج2/ص302. الشماخي : السير ، ج2/ص638.

[46] الشماخي : السير ، ج3/ص990.

[47] الدرجيني: الطبقات، ج2/ص303.

[48] الشماخي : السير،ج2/ص638-639.

[49] المصدر نفسه، ج2/ ص639.

[50] أبو يعقوب يوسف الوارجلاني: رحلة الوارجلاني، ص26

[51] امّحت من المخطوط والسياق منا على حسب المدلول والله أعلم.

[52] أبو عمرو عثمان بن خليفة المارغني السوفي: كتاب السؤالات، مخطوط بمؤسسة الشيخ عمي سعيد، قسم التراث والمكتبة، خزانة دار التعليم "بكير تعزابت" رقم الخزانة مع 28، ورقة1.

[53]أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية، ينظر تقديم مصطفى بن محمد شريفي، ص11.

[54]أبو عمرو عثمان السوفي: كتاب السؤالات، ورقة5.

[55] عمرو خليفة النامي : المرجع السابق، ص227-228.

[56] معجم أعلام

[57]أبو عمرو عثمان السوفي: كتاب السؤالات، ورقة5.

[58]أبو عمرو عثمان السوفي: كتاب السؤالات، ورقة5.

[59] أبو عمرو السوفي : رسالة في بيان كل فرقة ، ص299-300.

[60] الشماخي: السير، ج2/ص639.

[61] أبو عمرو عثمان بن خليفة المارغني السوفي: رسالة في بيان كل فرقة، ص295-296.

[62] أبو عمرو السوفي : كتاب السؤالات، ورقة 54. وللتفصيل في المسائل الفقهية والعقدية لفرقة الحسينية والعمرية ينظر أبو عمرو السوفي: رسالة في بيان كل فرقة، ص299-300.

[63] أبو عمرو السوفي : كتاب السؤالات، ورقة 54.

[64] أبو عمرو السوفي: رسالة في بيان كل فرقة، ص298.

[65] Allaoua Amara : Remarques sur le recueil Ibàdite-wahbite Siyar Almàsà'h : Retour sur son attribution, p 36.

[66]الشماخي: السير، ج2/ ص646.

[67]الدرجيني: الطبقات، ج2/ 322.

[68]الشماخي: السير، ج2/ص647.

[69]أبو يعقوب يوسف الوارجلاني: رحلة الوارجلاني، تحقيق وتعليق يحي بن بهون حاج احمد، من الرحلات الحجازية لعلماء المغرب الإسلامي، مطبعة mps، غرداية ، ط1، 2006، ص38.

[70]الشماخي : السير، ج2/ص648.

[71]الدرجيني: الطبقات، ج2/ ص324. أبو يعقوب يوسف الوارجلاني: رحلة الوارجلاني، ص25.

[72] الشماخي: السير، ج2/ ص648.

[73] علاوة عمارة: بين جبل الأوراس والواحات؛ ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الإباضية بالزاب، ص274.

[74] الدرجيني: الطبقات، ج2/ص303.

[75] الشماخي: السير، ج2/ ص639.

[76] علاوة عمارة: بين جبل الأوراس والواحات؛ ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الإباضية بالزاب، ص274.

[77] علاوة عمارة: بين جبل الأوراس والواحات؛ ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الإباضية بالزاب، ص270. وينظر لنفس المؤلف: الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الوسيط، ص50.

[78] علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة، ص305.

[79] الدرجيني: الطبقات، ج2/ص206.

[80] ينظر أكثر في أثر الزحف الهلالي على المغرب: علاوة عمارة : الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الوسيط، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، العدد4، رمضان 1425هـ/ أكتوبر 2004، ص ص31-75.

[81] علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة، ص326.

[82] أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية ، ص32.33.

[83] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6/ص45.

[84] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6/ص46.

[85] الشماخي: السير، ج2/ص547-549.

[86] المصدر نفسه، ج2/ص259-260.

[87] تماوط أو تماواط أو تماوطت هي واحة من واحات وارجلان اندثرت حاليا وقد سُمّي الوادي الذي يسبقها بهذا الإسم "ساقية تماوط" . ينظر الشماخي: السير، ج3/ص840.

88 الدرجيني: الطبقات، ج2/ص269.

[89] عثر الأستاذ الباحث بالحاج ناصر على نسختين من المخطوط المذكور الأولى توجد في خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي الشهير بالحاج بابكر (ت1325هـ/ 1907م)، ورقمها

في الفهرس 78، خزانة :بابكر70، أما النسخة الثانية من إحدى مكتبات ورقلة (مكتبة بومعقل الحاج عيسى) وتقع هذه النسخة ضمن مجموع مخطوط مصور وناسخها هو الشيخ باسة بن عمي موسى الوارجلاني. ينظر ناصر بلحاج: تراجع المذهب الإباضي بوادي ريغ من خلال أجوبة علماء الجزيرة وجربة على أسئلة الشيخ أحمد بن سعيد التماسيني، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 20، سبتمبر 2015، ص134.

[90] ناصر بلحاج: تراجع المذهب الإباضي بوادي ريغ، ص 138.